

## العنوان الأدبي بين النقد والإبداع



أ. مسكين حسنية  
جامعة الوادي

### ملخص:

لقد أولت الدراسات الأدبية والنظريات النقدية المعاصرة أهمية كبيرة للعبات النصية، فصار درسها يندرج ضمن سياق نظري وتحليلي يهدف إلى مقارنة النصوص الأدبية، من أجل فهم خصوصياتها وتحديد جوانب أساسية من مقاصدها الدلالية.

### Résume:

*Les études littéraires et les théories critiques modernes ont privilégiées une grande importance au titre, ce qui a laissé son thème s'intégrer dans le cadre d'un contexte théorique et pratique visant à l'approche des textes littéraires pour compréhension de ses caractéristiques et la détermination des parties principales de ses objectifs sémantiques.*

يعتبر العنوان الأدبي من أهم العتبات النصية التي لا يمكن لمناهج التحليل والتأويل أن تتجاوزها بأيّة حال، نظرا لموقعه الإستراتيجي في كونه مدخلا أساسيا لمقاربة العمل الأدبي من جهة، وقابليته لتزويد المتلقي بأحد المضامين المهمة لفتح مغاليق الكون النصي من جهة ثانية.

والعنوان على أهميته هذه، أهمل من الدارسين والمبدعين قديما وحديثا، واعتبر هامشا لا قيمة له وملفوظا لا يقدم شيئا إلى تحليل النصوص، ولم يولّ من العناية بما فيه الكفاية إلا مع مقدم الموجة النقدية المعاصرة، حينما التفت إليه بعض الدارسين في الثقافتين العربية والأجنبية، وحرصوا على تمييزه في دراسات معمّقة بشرت بعلم جديد هو علم العنونة (la titrologie).

ويعتبر جيرار جينيت - Gérard Genette - من الرواد المهتمين بمبحث العنونة، فقد أفرّد هذا الباحث عام 1986 مصنفا كاملا يحمل عنوان "عتبات" (Seuils)، حاول فيه تدارس

كافة العناصر النصية بما في ذلك العنوان متوقفاً بصفة خاصة عند قرائنه الزمنية والمكانية، وعند وظائفه وأنواعه.

وتعتبر جهود "جيرار جينيت" في هذا المجال من خلال مؤلفه "عتبات" تتويجاً لإرهاصات نظرية سابقة له متمثلة في جماعتين اهتمتا بدراسة موضوع العتبات هما:

1 - جماعة مجلة أدب الفرنسية.

2 - جماعة مجلة الشعرية.

فقد أصدرت الجماعة الأولى عدداً خاصاً محوره الرئيسي "البيانات"، احتوى هذا العدد مجموعة من الدراسات اهتمت بتحليل البيانات واعتبرتها خطاباً، وقامت بمقاربتها مقاربة لسانية وأيديولوجية ثم ابتدعت مصطلحات خاصة بموضوع العتبات مثل: Texte و Texte D'escorte و Lisiers.

أما بالنسبة لجماعة الشعرية، فقد أصدرت عدداً خاصاً من مجلتها وكان محوره Para texte، كانت دراستها أكثر تطوراً من خلال استفادتها من الدراسات التي قامت بها جماعة أدب الفرنسية.

ومن المهتمين أيضاً بدراسة العنوان "جون ريكاردو" (Jean Recardou)، الذي تعامل معه من منطلقين تنظيري وتطبيقي، واعتبره أداة كتابية مناسبة لزعة أسس النص الكلاسيكي وذلك بخلق حالة من الشقاق ما بين (النص/النص) وقرينه العنوان الذي يدعوه "ريكاردو" تارة ب Le sur texte وتارة أخرى L'onomatexte أي (النص/التسمية)، فهو مثلاً في تشكيله لأحد أعماله الروائية (Prise de Constantinople)، حاول أن يضع بعض تصوراته موضع التنفيذ، فقرأ عنوان هذه الرواية قد لا يصح أن روعي الترتيب الخطي المعهود للحروف، إذ لا بد من استبدال الحرف اللاتيني (l) بالحرف (o) ليكون الحاصل العنوني: (Prose de Constantinople).

وهنا يتضح أن دلالة هذا العنوان تتعلق بالنثر عموماً ولا علاقة لهذا المكتوب بواقعة سقوط القسطنطينية كما يظهر من معناه في صياغته الأصلية التي تعمد وضعها "ريكاردو"، وهذا التحايل على التشكيل الحرفي في صياغة العنوان، أسلوب من الأساليب الحدائثة في العنوان، نادى بها "ريكاردو" وطبقها في أعماله الإبداعية<sup>1</sup>.

وإذا كان اهتمام النقاد والباحثين الغربيين مركزاً على العنوان في الرواية، وعلى المعايير والقوانين التي تحكم خطابه، فهذا لا يعني انعدام الاهتمام بعناوين الأعمال الإبداعية الأخرى، فهناك من الباحثين من قام بالجمع بين عدة أنواع من العناوين الأدبية، كما فعل "برنار ميشال" Michel Bernard \_ إذ شملت مدونته عناوين القصائد، الروايات، القصص القصيرة، المسرحيات، المقالات الفلسفية، المحاورات، النقد وغيرهم، فبلغ مجموعها

2020 عنوانا من سنة 800 ميلادي إلى سنة 1991 م، وكانت طريقته في اختيار وحصر هذه

المدونة قائمة على مجموعة من المقاييس منها:

- 1 - اختيار الأثار التي قررت على طلاب المدارس والثانويات.
- 2 - اختيار الأثار التي نالت شهرة في تاريخ الأدب الفرنسي.
- 3 - اختيار الأثار التي ذكرت في الموسوعات والمعاجم.
- 4 - اختيار الأثار التي نشرت في كتب متخصصة.

وقد اعتمد هذا الباحث على ما يقدمه الإعلام الآلي من إمكانيات وتسهيلات في إطار ما

يعرف بالفرنسية ب: La lexicométrie.

وفي إنجازه لبحثه لم يأخذ بعين الاعتبار إلا الأشكال التي تكررت خمس عشرة مرة على الأقل، وقام بتقسيم تاريخ الأدب الفرنسي إلى اثنتي عشرة مرحلة، في كل مرحلة على وجه التقريب اثنا عشر عنوانا، فتوصل إلى جملة من النتائج، منها أن لكل مرحلة خصوصيتها في صياغتها للعناوين.

وتوصل أيضا إلى أن كل فترة شهدت ورود ألفاظ معينة في عناوينها، فمثلا الفترة الممتدة من عام 1674م إلى 1768م شهدت كثرة الألفاظ الآتية في عناوينها: معجم، رسائل، تاريخ، جنازة، موسوعة، حقيقة، مذكرات، كنيسة الخ...، والأمر نفسه ينطبق على المذاهب الأدبية، يعني لكل مذهب ألفاظ بعينها ترد في عناوين آثاره، فالمذهب الكلاسيكي مثلا شهد تكرار الكلمات الآتية: كنيسة، مدرسة، ملكة، فرنسا، نساء، أما المذهب الرومانسي فقد كثرت فيه مثل هذه الألفاظ: إيطاليا، دين، رحلة<sup>2</sup>.

هذه بعض النتائج التي توصل إليها الباحث " ميشال برنار" في إنجازه لمدونته الخاصة بالعناوين. وإذا عدنا إلى مشروع "جينيت" في اهتمامه بالعناوين وجدناه مشروعاً يبحث في معايير وقوانين خطاب العنوان بصفة عامة، لذلك فالعنوان في الشعر لم يحض في هذا المشروع بالاهتمام الكافي.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن «العنوان في الشعر ليس هو العنوان في البحث العلمي الذي يتوخى فيه صاحبه التدقيق والتمحيص لكي يجعله مناسباً لإفادة محتوى الكتاب واصطلاحاته. بل إن العنوان له خصوصيته المائزة له حتى عن عناوين أنماط وأنواع أدبية أخرى كعنوان الرواية مثلا التي أمام صاحبها متسع من الاختيارات لانتقاء عنوان يفيد الحدث أو المكان أو الزمان أو الموضوعات... الشاعر الحديث يصطدم بتمتع عوالم يبنينا انطلاقاً من لغة تعبيرية محتجبة في دلالتها ومتحوّلة في معانيها ومتداخلة في مقاصدها»<sup>3</sup>.

وإذا كان الحديث يدور حول القصيدة بشكل خاص، فإن «العنوان يتخذ أهمية أكبر بعد قراءتها، لاتخاذ طبقات من المعنى أكثر عمقا في سياق تيمات القصيدة المتعددة، هذا بالإضافة إلى أن العنوان في حالت كثيرة يمكنه إعادة خلق قطعة أدبية ما»<sup>4</sup>، وفي هذه

الحال على القارئ مراعاة وظيفة العنوان في تشكيل اللغة الشعرية، ليس فقط من حيث هو مكمل ودال على النص، ولكن من حيث هو علامة لها علاقة اتصال وانفصال معا، اتصال باعتباره وضع أصلا لأجل نص معين، وانفصال باعتباره يشغل بوصفه علامة لها مقوماتها الذاتية كغيرها من العلامات المنتجة للمسار الدلالي الذي نكوّنه ونحن نؤوّل العنوان والنص معا<sup>5</sup>، وهذا ما يجعل من العنوان بمثابة «الموجه الرئيس للنص الشعري، فهو الذي يؤسس غواية القصيدة والسلطة في التعيين والتسمية»<sup>6</sup>.

لكن هل هذه السلطة المخولة للعنوان شهدها الشعر العربي في جميع عصوره؟ يرى "رشيد يحيى" أن قضية العنوان في الشعر أهملت في الثقافة العربية القديمة، في حين أكد عليه في النصوص السردية والنقدية والعلمية، ويرجع ذلك إلى أن القدامى كانوا يستعملون سماع القصيدة، لذلك جاراهم الشعراء وأعضوهم من مشقة الوقوف عند عناوين قصائدهم<sup>7</sup>.

وقد عوّض هذا الغياب للعناوين في الشعر العربي القديم بصيغ تنهض بوظيفة مشابهة لوظيفة العنوان، من هذه الصيغ التأكيد على حسن المطلع في القصيدة، حتى يكون مغر ويغلب انتباه المتلقي ويشده لمتابعة القصيدة، فالمطلع في هذه الحالة يكون بمثابة العنوان، به ينجح أو يفشل الشاعر في شد انتباه المتلقي ويغريه بمتابعة الاستماع للقصيدة.

وهناك صيغ أخرى أيضا تنوب عن هذا الغياب، تتمثل في «تلك الجمل التي كانت تسبق القصائد، والمقاطع والأبيات المفردة الواردة إما في ثنايا دراسات نقدية أو تراجع أو مصنفات تدوينية، وتتضمن هذه الجمل نعوتا تقوم مقام العنوان بحيث ترشد للنص محددة له هويته وخصوصيته تميزه عن غيره من النصوص قصيرة كانت أو طويلة»<sup>8</sup>، من هذه الجمل: قال يمدح، قال يذكر الوعد وإخلافه، أنشدني في ذلك قطعة، أنشدنا فلان.

والملاحظ في هذه الجمل أنها تتصل بنصوصها من عدة جهات، تدخل بشكل تام ضمن الروابط بين العناوين ونصوصها، ففي جملة (قال يمدح) يحدد العنوان نصه بمقومين، الأول تصنيفي غرضي والثاني إحالة على اسم علم، بحضوره ينفرد النص عن غيره من النصوص الموضوعية في مدح آخرين.

أما جملة (أنشدني في ذلك قطعة) فيلاحظ فيها أنه قد أضيف إلى المقوم الموضوعاتي المشار إليه بواسطة اسم الإشارة (ذلك)، مقوم تصنيفي هو (قطعة)، وبدخول هذا المقوم لا يبقى النص محددًا بموضوعه فقط، بل يتحدد كذلك بنوعه ضمن أنواع الشعر المعروفة حاليا بالقصائد والمقاطع والرباعيات وما إلى ذلك من أنواع وأشكال.

إن هذه الجمل في رأي "يحيى" هي «الأكثر سيادة في الجمل والعبارة المقدمة للنصوص الشعرية سواء أكان ذلك ضمن كتب مختارات وتصنيفات أو ضمن دواوين أو ضمن كتب نقد وتراجع»<sup>9</sup>.

وقد عدّها بمنزلة العناوين لما تفيده من تعيين للنصوص من جهة موضوعاتها أو قائلها أو من قيلت فيهم، أو من جهة طبيعتها الشكلية، ثم يستطرد قائلاً: «غير أن الغالب على التأليف العربي في تعامله مع الشعر هو تجنّب حتى هذا النوع من الجمل التعيينية، وهي مقابلها تطفئ جمل قول تكتفي بإفادته عرض مقول شعري ما»<sup>10</sup>.

وجمل القول التي تكتفي بإفادته عرض المقول الشعري هي عبارة عن أفعال مثل: قال، أنشد، لكن دون أن ترفق هذه الأفعال بما يدل على تخصيص مقولاتها.

وهذا يدلّ على أن فهم العرب القدامى لدور العنوان لم يتجاوز المعنى اللغوي له، يعني لم تكن له أهمية سوى في كونه يدلّ على شيء آخر كما جاء في المعجم (كأما استدلت بشيء يظهر على غيره فهو عنوان له)<sup>11</sup>.

ولكن هذا لا يعني القول بانعدام فقه العنونة في الثقافة العربية القديمة، فإذا حاولنا الحفر في تراثنا النقدي وخصوصياته الجمالية، نجد جذورا جمالية وفكرية لمفهوم العنونة. فمن يتأمل ألقاب الشعراء وألقاب بعض القصائد القديمة في النقد العربي القديم يلحظ أنها مشتقة من الخصائص الجمالية والفكرية للنص المعنون بهذه الألقاب، أو منتزعة من الخصائص الفريدة لأسلوب الشاعر، فهناك المثقب والمتدخل الأودي والممزق، وهناك ألقاب النصوص مثل: اليتيمة والمنصفة والمنفحات والحواليات والمعلقات.

#### فضاء العنوان:

لقد عني لفظ عنوان فيما عني أول مرة «نموذجاً للصفحة الأولى مكفولة المجال الطباعي للتعريف بمادة الكتاب ومؤلفه وغير ذلك من المعلومات المتعلقة بالمؤلف ليتبلور المعنى فيوقف لاحقاً على عبارة تصدرت الكتلة النصية وتوسطت مجاله الكتابي»<sup>12</sup>.

وإذا وقفنا على المعنى الثاني نجده يحيلنا إلى أنه مهما بلغت درجة ارتباط العنوان بالنص، إلا أنه يظل مستقلاً عنه طباعياً لوجود مسافة تفصله عن النص، وهذا ما تؤكد الدلالات اللغوية للعنوان المتمثلة في (الوسم و الأثر) والتي تعني استقلال الوسم أنطولوجياً عما يسمه، والأثر عن حامله، أي استقلال العنوان عن نصه، رغم العلاقة التي تنسبه إلى عمله، وهذا ما عبر عنه "الجزار" بقوله: «للعنوان خصيصتان محدودتان، أولهما خصيصت أنطولوجية هي استقلاله عن حامله، وثانيهما: خصيصت وظيفية تنسبه إلى عمله أو تنسب العمل إليه»<sup>13</sup>.

وإضافة إلى أن العنوان يتصدر فضاء النص، فإنه توجد قواعد في العنونة مشتركة ما بين أكثر من لغة وثقافة، من مثل «ضرورة تصدر وتوسط العنوان المقام الكتابي ونسخه بخط يفوق حجماً وشكلاً ذاك الموظف في بطانته النص كشكل من أشكال التمييز له عن سائر العناصر المؤسسة للمكتوب، وقد يظهر المداد بلونه المغاير ليضيف إلى سلم العناية مستوى آخر»<sup>14</sup>.

إن التشكل الهندسي للعنوان وموقعه في « فضاء الصفحة قد لا يكون القصد منهما الترميق والتزييق واستدراج القارئ كما يحلو لأصحاب المطابع أن يقولوا، وإنما قد يحمل العنوان رسالة النص الكبير، تختزل في شكل عبارة فتكون حروفاً أو أرقاماً أو علامات مطبعية أو بياضاً، وقد تتسع الحروف وتضيق وقد تتشكل ألواناً مختلفات وتتصل وتنفصل وتكون كوفية أو نسخية أو رقعية، مستقيمة أو موجية وقد ترسم مرتعشة.... فهنا تلتقي بلاغة العنوان بصناعته ويتم التوافق بين التشكل والمقصد، فإذا العنوان طاقة شعرية و"رسم بالكلمات" و"لمح تكفي إشارته"<sup>15</sup>.

لقد كانت انطلاقة العنوان في الأدب انطلاقة طبيعتها محدودية الكم المفرداتي، التي قلما تجاوزت إطار المسند والمُسند إليه، مع ملاحظة نسبية تخص المكتوب العربي الذي تميز في أحيان كثيرة بالطول الجملي، الذي استوجبه رغبة التسجيع، أما راهنا فالعنوان عربياً كان أم غربياً لا يحدد بكم مفرداتي.

وإذا كانت تراكيب العنوان النحوية لانهائية، فهذا يمنح الكاتب حرية واسعة في اختيار التركيب الذي يفضل، ووفقاً لهذا لا يمكن تفضيل تركيب على آخر في العنوان، لأن كل تركيب يضعه الكاتب من الكلمة المفردة إلى الجملة المركبة، يخدم أغراضاً معينة أرادها له، فمثلاً عندما يستخدم الشاعر جملة اسمية في العنوان قد يعني أنه يريد التحدث عن أشياء ثابتة تتجاوز حدود الزمن، وهذا راجع لطبيعة الاسم الثابتة بخلاف الفعل الذي يدل على التحول وعدم الثبات.

### واضع العنوان؛

للعنوان أهمية خاصة بالنسبة للكاتب لأنه جماع النص وملخصه، هذا يعني أن كتابة عنوان عمل ما هو فعالية لها شروطها وملابساتها المستقلة عن كتابة العمل نفسه، أي أن العنوان في أي نص لا يأتي مجاناً أو اعتباطياً، لأن كاتب العمل يعطي لكتابة عنوانه ما يعطيه للعمل من عناية واهتمام « بل ربما كانت عنوانة العمل أكثر مما نظن إشكالا، فمقاصد "المرسل" منها تختلف جذريا عن مقاصده من عمله، وتتنازعهما عوامل أدبية، وأخرى ذرائعية

"برجماتية"، وربما أضفنا العامل الاقتصادي (التسويقي) إلى هذين النوعين من العوامل»<sup>16</sup>.

وهذا ما صرح به "شوقي بزيع" عندما قال: « طالما وجدت صعوبة بالغة في العثور على عناوين ملائمة لمجموعاتي الشعرية التي سبق أن أصدرتها خلال ربع قرن من الزمن. ذلك أنني أعلم تمام العلم ما للعنوان من أثر عميق في نفس القارئ ومن جاذبية فائقة تسهم أغلب الأحيان في تسويق الكتاب ووضعه على طريق النجاح. كثيرا ما حدث أن استغرقت شهورا عدة في البحث عن العنوان الذي أريد والذي يشع بريقه الغامض في باطن الروح دون أن يبلغ مرتبة الوضوح والإفصاح ..... على أن هذه المعاناة لا تخص كاتباً أو شاعراً بعينه، بل لعل معظم الكتاب،

والشعراء بوجه خاص يواجهون هذا الاستحقاق المضني ويعانون من وطأته المرهقة التي لا يملكون تجنبها».<sup>17</sup>

إن الأبحاث التي تطرقت إلى كاتب العنوان، عالجت الإشكالية الآتية: هل كاتب العنوان هو نفسه كاتب النص؟ الإجابة عن هذا السؤال كانت متضاربة ف "جينيت" يرى أن مرسل العنوان ليس بالضرورة الذي ينتجه، إذ يمكن لمحيط النشر أن يلعب هذا الدور.<sup>18</sup> أما "نريمان الماضي" فترى أن «العنوان الحقيقي هو ذلك العنوان الأصلي الذي اختاره كاتب النص نفسه، وذلك لأن هذا العنوان هو الوحيد الذي يضيف معاني إلى النص ويرشد القارئ في عملية التأويل».<sup>19</sup>

لذلك فالتأكيد على أصالة العنوان أمر لا بد منه، لأن وضع عنوان لقصيدة لم يعنونها الشاعر نفسه يعتبر أمرا في غاية الخطورة، فالعنوان الموضوع قد يؤدي إلى تضليل القارئ في عملية القراءة ويجعله يقرأ النص قراءة غير كاملة، لأنه في أغلب الأحيان لا يوجد عنوان إلا ويتبع بطريقة ما إلى المضامين الموجودة في النص، وباختصار يمكن القول أن العنوان هو توجيه لمقاصد الكاتب، أي أن الكاتب يؤول عمله ويتعرف منه على مقاصده، وعلى ضوء هذه المقاصد يضع العنوان .

وإذا كان الكاتب يتأول عمله ويتعرف منه على مقاصده، وعلى ضوء هذه المقاصد يضع عنوانا لهذا العمل بعد تفكير عميق وجهد جهيد فإن «المؤلفين لا يضلحون دائما في اختيار العناوين المعبرة عن محتويات كتبهم أو الدالة على كل ما أرادوا قوله فيها، أو دالا على ما يراه المؤلف أساسيا، أو ذا قيمة خاصة بالنسبة إليه. وهذا ما يؤكد أن كل كتاب أو كل نص أدبي قابل لأن يحمل عنوانا مغايرا أو تسمية أخرى غير تلك التي اختارها المؤلف».<sup>20</sup> لذلك فإن بعض الكتاب يترددون كثيرا في اختيارهم لعناوين أعمالهم، ومن الأمثلة التي تؤكد هذا الأمر، قصة الكاتب إميل زولا "Emile Zola" مع كتابه (la bête humaine)، فقد شكل اختيار العنوان عنده مبحثا مستقلا، تشهد على تعقده مسودات الرواية، فقد ظل "زولا" يراكم العناوين ويعدل فيها حتى بلغت مئة وثلاثة وثلاثين عنوانا.<sup>21</sup>

وهناك بعض الكتاب الذين يعطون لأعمالهم عناوين أخرى حتى بعد النشر، مثلما فعل "استندال" (Stendhal) حينما فضل تسمية (Le rouge) باسم البطل (Julien).

يرى "جينيت" أن تغيير العنوان يمكن أن يحدث حتى بعد الطبع، مثلما حدث مع عنوان (Monsieur l'admiral) ل: بوست (Bost)، فبعد وفاة "بوست" قام الناشر بإخراج طبعة أخرى حيث حمل الغلاف نفس العنوان (Monsieur l'admiral) - عنوان الرواية - لكن السترة حملت عنوانا آخر مغاير للأول هو: (un dimanche à la compagne).<sup>22</sup>

وهذا يجعل العنوان عبارة عن تسمية من تسميات كثيرة ممكنة، وهي على الرغم من أنها من اختيار المؤلف فهي ليست ملزمة للقارئ الذي من حقه أن يقترح للكتاب المقروء عنوانا بديلا أو

تسمية جديدة، قد تكون أكثر ملائمة وأصدق تعبيراً عما يرغب المؤلف في إبلاغه إلى المتلقي.

ولكن التأكيد على أصالة العنوان أمر لا بد منه، وذلك لأن العنوان الذي يضعه كاتب العمل «هو الوحيد الذي يعتبر جزءاً لا يتجزأ من عملية الإبداع الفني للعمل. أما عدا ذلك من العناوين والتي يضعها أشخاص آخرون، فإنها تعتبر مجرد اقتراحات عناوين، تنبع من تأويل أصحابها للعمل».<sup>23</sup>

وإذا اعتبرنا أن صانع العنوان الحقيقي هو كاتب النص نفسه، يهمننا أن نعالج السؤال الآتي: متى يضع الكاتب عنواناً لنصه؟

ترى "تريمان الماضي" أن الأبحاث التي تطرقت إلى هذه القضية تفترض فرضية مماثلت فيما يخص هذه المسألة، وهي أن العنوان يصنع ويضاف إلى العمل بعد الانتهاء من تأليفه. وهذا مذهب يميل إليه "الجزار محمد فكري" عندما يقول: «إن المرسل - غالباً - ما يضع عنوان مرسلته بعد انتهائه منها وتشكلها عملاً مكتملاً».<sup>24</sup>

والرأي نفسه يذهب إليه أيضاً "ناصر يعقوب" حينما يقول: أن "اختيار العنوان يكون بعد كتابه النص والانتهاء منه، لأن العنوان فرع والنص أصل، فالكاتب بعد كتابته نصه يختار عنوانه القادر على اختزال نصه في تركيبه أو لفظه، ليؤدي العنوان الكثير من المعاني في اليسير من اللفظ، مع صعوبة الاختيار والتأويل من جهة المبدع».<sup>25</sup>

هذه بعض آراء الباحثين المناصرين لقضية وضع العنوان بعد الانتهاء من عمله، أما الرأي المخالف لهذا، فإن أصحابه يرون أفضلية وضع العنوان قبل النص، "فجون جيونو" (Jean Giono) يرى أن لإنشاء العنوان قبل النص دور في تنشيط الكاتب وحثه، معبراً عن عجزه عن التأليف في غياب العنوان المسبق يقول: غالباً ما تجهض القصة إذا ما ألفتها قبل عنوانها، لا بد من عنوان لأن العنوان مثل الراية، صوبها نتجه، إن الهدف المراد بلوغه من النص إنما هو تفسير العنوان.<sup>26</sup>

**متلقي العنوان:**

بداية يجب تحديد هوية قارئ العنوان على الرغم من أن هذا قد يبدو للبعض أمراً مبرحاً منه، خاصةً للذي يعتقد بأن قارئ العنوان هو الذي يقرأ العنوان فقط، متناسياً أن قارئ العنوان الحقيقي هو الذي يقرأ العنوان والنص معاً.

يميز "جينيت" بين متلقي عنوان الكتاب ومتلقي الكتاب نفسه، فمتلقي العنوان عنده هو الجمهور، وهذا الجمهور ليس هو مجموع القراء وإنما هو مجموعة من الأفراد يفوق عددهم مجموع القراء، لأنه يشمل أناساً يعملون من أجل الكتاب، لكنهم ليس بالضرورة أن يقرؤونه كاملاً، كأولئك الذين يساهمون بنشره مثل المحرر والبائع وغيرهم، وهذا يعني أن نص الكتاب ليس مرسل إليهم بالضرورة، وتقتصر وظيفتهم على جعل القراء يقرؤونه.

ويشمل الجمهور مجموعة أخرى، هي مجموعة الزبائن الذين لا يقرؤون الكتاب الذي بيتاعونه أو يقرؤونه بشكل جزئي، لأن قارئ الكتاب الذي يستهدفه الكاتب هو ذلك الشخص الذي يقرأ النص قراءة تامة.

ويخلص "جينيت" في نهاية حديثه عن هذه القضية إلى أن العنوان يرسل نفسه إلى عدد من الأشخاص يفوق عدد الأشخاص الذي يرسل النص إليهم، لأن النص عبارة عن غرض للقراءة، أما العنوان فهو كاسم الكاتب عبارة عن غرض للاتصال.<sup>27</sup>

وبناء على ذلك، فإن قارئ العنوان الفعلي ليس ذلك الذي يمر على العنوان مرورا سريعا دون قراءة للنص، وإنما هو الذي يقرأ العنوان قراءة تامة، وهذه القراءة التامة تكون من خلال قراءة العنوان والنص قراءة كاملة، وبحث العلاقة بينهما.

إن العلاقة بين العنوان والمتلقي علاقة إشكالية، فبينما تكتفي مرسلّة العنوان بذاتها خالصة لها عالمها اللغوي الخاص، ينتمي المتلقي إلى عالم واقعي له لغته التمثيلية ووظائفها البرجماتية، وبينما تمتلك المرسلّة في علاقتها بذاتها زمنية لغوية خالصة، وفي علاقتها بمرسلها زمنية متعينة تاريخيا، فهي مفتوحة في علاقتها بالمتلقي على زمن غير محدد، وإذا كان كاتب العنوان ينطلق من مقاصده في تشكيله لعنوانه، ففي المقابل ينطلق قارئ هذا العنوان من معارفه الخلفية في تقبله له، فيطرح له عدة تأويلات، ومن ثمر يتوجه إلى النص وفي ذهنه قد علقت هذه التأويلات التي قد تنتفي أو تتعزز عند قراءته للنص.

### الهوامش:

(1) ينظر: ابن عبد الله الأخضر: في البدء كان العنوان وكان ... فهل في عند سيكون ؟. مداخلة خاصة بالمؤتمر الأدبي السادس، جامعة اليرموك.

(2) voir: Bernard Michel : une approche lexicométrie de la Titrologie, Article dans le site suivant ([www.cavi.unive.paris3.fr](http://www.cavi.unive.paris3.fr))

(3) رشيد يحيوي: الشعر العربي الحديث (دراسة في المنجز النصي)، إفريقيا الشرق، المغرب، 1998، ص107.

(4) نريمان الماضي: العنوان في شعر عبد القادر الجنابي (حياة ما بعد الماء نموذجا)، الموقع ([www.adab.com](http://www.adab.com))

(5) ينظر: رشيد يحيوي، الشعر العربي الحديث، ص110.

(6) جميل حمداوي: السيمبوتيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، مجلد 25، ع3، 1997، ص108.

(7) ينظر: رشيد يحيوي الشعر العربي الحديث، ص108.

(8) (9) - (10) المرجع نفسه، ص109:108.

(11) لسان العرب: مادة (عنا)، مجلد 10، طبعة جديدة، 2000، ص316.

(12) الجزائر محمد فكري: العنوان وسيمبوتيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص08.

- (13) المرجع نفسه، ص23.
- (14) ابن عبد الله الأخصر: في البدء كان العنوان وكان ... فهل في غد سيكون؟
- (15) محمود الهميسي: براعة الاستهلال في صناعة العنوان، مجلة الموقف الأدبي، ع1997، 113، ص115.
- (16) الجزائر محمد فكري: العنوان وسيمبوطيقا الاتصال الأدبي، ص 07.
- (17) شوقي بزيغ: محنة العناوين، مجلة العربي، ع565، 2005، ص226.
- (18) voir: Gérard Genette, seuils, p 71.
- (19) نريمان الماضي: العنوان في شعر عبد القادر الجنابي.
- (20) جميل حمداوي: العنوان في الرواية العربية، الموقع ([www.djidar.net](http://www.djidar.net)).
- (21) ينظر: ناصر يعقوب: اللغة الشعرية وتجلياتها في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004، ص 101.
- (22) voir : Gérard Genette : seuils, p64,65,67.
- (23) نريمان الماضي: العنوان في الشعر عبد القادر الجنابي.
- (24) الجزائر محمد الفكري: العنوان سيمبوطيقا الاتصال الأدبي، ص 61.
- (25) ناصر يعقوب: اللغة الشعرية وتجلياتها في الرواية العربية، ص 99.
- (26) voir: Gérard Genette : seuils.p66.
- (27) voir : Ibid, p72 ,73.